مدينة باريس

لقد بتُّ في ريب من صدق ما كنت اسمعه وانا في الديار الشرقية عن عظمة الديار الغربية ورونقها ومبانيها الانيقة الشاهقة وحدائقها الفناء الشائقة و بهجتها الرائقة وتمدنها ونقدمها ولم يطابق الخُبْر عندي الخبر حتَّى اكتحلت عيني برأى باريس بهجة المدائن وجنة الجنائن وقضيت فيها اثني عشر يومًا وانا اغتدي والطير في وكناتها وابيت وقد تصرَّم حجاب الظلام وأنطلق ما بين ذلك من متحف الى متحف ومن قصر الى قصر واجوب حديقة بعد حديقة واطوي ساحةً وراء ساحةٍ اذا مررت بمحطة ركبت قطارها او بميناء على النهر علوت باخرته وطرت على جناح بخارها والاَّ ركبت الترامواي حيث مررت بخط من خطوطهِ الاربعين او الاتوبيوس حيثما التقيت بهِ في طريق من طرقهِ الخمس والثلاثين او وثبت الى مركبة من الخمسة عشر الف مركبة المتفرقة في شوارع باريس واذا لم تيسر هاتهِ ولا هاتيك سرت على قدميَّ سيرًا حثيثًا اسابق الذين تستخفهم اشغالهم وتسوقهم ارباحهم واموالهم حتَّى رأيت في هذا الزمن القصير جل ما يرى في مدينة تبلغ مساحتها ثلاثين ميلاً مربعًا من الارض قد لزَّت بها المباني لزًّا وحتَّى قابلت مَن قابلت من ذوي الشأن بين مليونين ونصف مليون من السكان ودوَّنت من الحقائق والاخبار والفوائد ما يملأ مجلدًا ضخمًا ولا يستوفى بمقالةٍ ولا مقالات . ولذلك بتُّ في حيرة ما اذكرهُ وما ارجئُ ذكرهُ في هذه العجالة التي اكتبها وانا على اهبة السفر الى لندن عاصمة الانكليز . ولا ادري اي صورة مجملة ارسمها للقارىء مما رأيت وقد كان يمرُّ ببصري كل يوم مئة الف صورة من صور البشر واضعاف اضعافها من صور التحف والتماثيل والازقة والشوارع والحدائق والمباني والخازن والحوانيت ونحوها ويمرُّ بسمعي ما لا يحصى من الاقوال والاخبار والمذاهب والآراء وغيرها على اني لا ارى بأسًا من ذكر الشيء اليسير مما يصادق عليهِ كل من رأى باريس تاركًا التفصيل الى وقت آخر . والاَّ فاي تفصيل يستطاع في مثل هذه الاحوال على حين ان وصف قصر واحد من قصور باريس كقصر اللوفر مثلاً لا يفي محلاً لشيء من المقالات والمراسلات . وكيف لا وهو قصر لو شاء الانسان ان يطوفهُ كلهُ نافذًا من غرفة الى غرفة مجانبها لما فرغ من غرفهِ الاَّ بعد ساعتين من الزمان وهو يعدو عدوًا ولا يلوي على شيء . قلت غرفة والاصح ان اقول قاعة فكل غرفة قاعة واسعة فائقة في الزخرفة والنقش والتذهيب والتزويق

والتلوين . وقد حوى هذا القصر اربعين متحفًا يضارع كلٌّ منها ما في دار التحف المصرية او يربو عليهِ من آثار القدماء والمحدثين وبدائع المشارقة والمغاربة والتحف والجواهر التي لا تثمن بالالوف والملايين واقل ما يراهُ الناظر فيهِ قبل دخولهِ ٨٦ تمثالاً كبيرًا من الرخام لمشاهير الفرنسويين . واجواق من التماثيل الاخرى بينها ٦٤ تمثالاً كتماثيل القدماء التي يرمز بها الى المعاني والفضائل والآداب . وكم وكم في باريس من الاقدان والقصور والمتاحف والكنائس والابراج والمنائر التي تعجز اقلام البلغاء عن وصفها ولا يستوفى الشرح عنها الاَّ في المجلدات الكبار ولذلك اضرب صفحًا عن الوصف والتفصيل تاركًا ذلك الى حينهِ واقتصر على الاشارة الى جمال باريس وهندستها وتنظيمها ونظافتها واميال اهلها وطباعهم وحال الاشغال والعلم والسياسة فيها

جمال باريس

اما الجمال فلا اظن مدينة من مدن العالم تضارعها او تقرب منها فيهِ وكأن الجمال قد تجسَّم في مبانيها وحدائقها وعيونها وتماثيلها وقصورها وابراجها وشوارعها واسواقها وزخارفها وازيائها حتَّى ان من يرى قصورها الشماء ويجول في حدائقها الفنقة وخمائلها الغنَّاء وينظر قبابها وابراجها الناطحة السماء وما عليها من الشموس الساطعة وقلائد الاضواء ويمتع الطرف بعيونها النَّرارة ومياهها الفوَّارة وفسقياتها الدوارة يتيهُ بجانبها ربات الجمال وذوات الحسن والدلال بالاثواب الفاخرة والازياء الزاهرة والزينة الباهرة يخيل لهُ انهُ في رياض الجنان ويرى آلهة اليونان والرومان وما جادت بوصفهِ قرائح الشعراء على مر الزمان . وحب الجمال قوي في نفوس اهل باريس يحترونهُ في كل مصنوعاتهم ويقضون لهُ الكثير من اوقاتهم ويبذلون دونهُ ما عزَّ وهان . فكل بضاعة رائجة معهُ عندهم ولو كانت من سقط المتاع . وغنيهم وفقيرهم وكبيرهم وصغيرهم يحرص على جعل حانوتهِ جميل المنظر حسن الزخرف بديع الظاهر ولو لم يكن شيئًا يذكر في ذاتهِ ولهذا فاقوا غيرهم في استنباط الازياء فكل يوم ترى لهم زيًّا جديدًا يعرضونهُ في مخازنهم ويجبر الناس حولهُ لرؤيتهِ . ولقد قضيت هذه المدة وانا امرُّ يوميًّا ببعض المخازن فاراهُ كل يوم عارضًا زيًّا جديدًا والناس يتزاحمون حولهُ ليروهُ . وامثلة ذلك وشواهدهُ عديدة وقد اشتهر امرها في المشارق والمغارب حتَّى اصبحت باريس في الجمال مثلاً

هندسة باريس وتنظيمها

واما هندستها وهندامها وحسن تنظيمها وانقانها فظاهرة في كل شارع من شوارعها

الاربعة والسبعين وكل زقاق من ازقتها الاربعين . فالأولى لا يقل عرض الكثير منها من ٣٠ مترًا تظللها الاشجار ويحاذيها رصيفان عريضان عن جانبيها وفي وسائر الازقة مرصوفة بالخشب او الاسفلت او الحجارة . والابنية قائمة عن جانبيها متصلة بعضها ببعض كانها بناء واحد ومؤلفة من سبع طبقات في جهاتٍ ومن ست في أُخرى . ولا تخرج عن هذا النظام والهندام الاَّ حيث يعترض بناء فخيم من الابنية العمومية كالقصور والكنائس ونحوها . او في اطراف المدينة حيث تنظيم المنازل كتنظيمها في المدن الشرقية الحديثة . وزد على ذلك اني عددت في باريس ٥٦ ساحة تبتدئ منها الشوارع او تنتهي اليها وفي كل ساحة كنيسة عظيمة او قصر فاخر او حديقة غناء او تمثال لشهير او فسقية بديعة الهندسة والنحت وغير ذلك مما يراعى فيهِ النظير من حيث الجمال وحسن الذوق وكمال التنظيم . والناس يجتمعون في هذه الساحات لترويح النفس وتنزيه الطرف وترويض الاطفال هذا عدا الحدائق العمومية والحراج الواسعة شرقي المدينة وغربيها والمتنزهات العديدة ولذلك كان المجال واسعًا لشعاع الشمس وتجدُّد الهواء

وقد تمَّ هذا التنظيم والاتقان في ايام الامبراطور نبوليون الثالث فانهُ امر بهدم منازل الفقراء واكواخهم وانشاء الساحات مكانها وقوَّم الشوارع وازال تعاريجها وجعل باريس جنة فرنسا كما فعل حضرة الخديوي السابق في جانب كبير من مصر القاهرة

نظافة باريس

واما من جهة النظافة ومراعاة شروط الصحة فقد وجدت باريس انظف المدن التي عرفتها على اتساعها وصغر غيرها . وقد اخترقتها طولاً وعرضًا ومررت في اكثر شوارعها ان لم يكن في كلها ولا اذكر اني رأيت شارعًا قذرًا فيها او ماء آسنًا في زاوية من زواياها او شممت رائحة خبيثة في زقاق من ازقتها او ابصرت ماء راكدًا في جهةٍ من جهاتها سواء كان في احرج زقاق او في اضيق الاسواق على حين يرُّ الناس الوفًا الوفًا فيها كانهم في مولد دائم من الموالد المصريَّة والخيل والمركبات على انواعها تجري تباعًا حتَّى تخالها قطارًا ولم اتبين سر ذلك كلهِ حتَّى اتيت ساحة يقال لها ساحة شتله وعلمت ان هناك مدخل المجاري والمصارف التي تنزح اليها كلُّ مراحيض باريس وتجري اليها كل مياهها والامطار التي تهطل فيها . وهي اقنية مبنية من الحجر الاصم ومطينة وملطة بالملاط (السمنت) حتَّى لا تنفذها السوائل ومتشعبة تحت باريس كلها ولو مدت في قناةٍ واحدة لبلغ طولها ٧٤٠ ميلاً او اكثر من بعد باريس عن مدينة برلين وهو ٦٧٠ ميلاً ومع ذلك فلا يزال في النيَّة

عمل اقنية اخرى يبلغ طولها ١٨٠ ميلاً . فكل ما في مراحيض باريس وبواليعها وازقتها وشوارعها يصب في هذه الاقنية ويجتمع في حوض كبير تحت اشهر ساحة من ساحاتها تُعرف بساحة الكنكورد ويجري من هناك الى حيث يصبُّ السائل فيه الى نهر السين ويؤخذ الجامد منهُ لتسميد الارض . وفي شوارع باريس وساحاتها مياول عديدة من الحديد حسنة الشكل وفي نقي الزوايا والازقة والشوارع من الروائح والاقذار . فلذلك كلهِ وتجدد الهواء في الشوارع وبين المنازل وتخلُّل شعاع الشمس لها واعتناء اهلها بالنظافة في بيوتهم ومعيشتهم حسنت الصحة العمومية فيها وانحصر معدل المتوفّين بين ٨٠ ومئة في اليوم تضمهم اللحود في اثنتين وعشرين مقبرة متفرقة في اطرافها

ملاهي باريس

وباريس مدينة اللهو والزهو ولا اظن مدينة تضاهيها في ملاهيها واهلها يتهافتون على النزهة واللهو والطرب ولا تهافتهم على الزي والجمال . فلا ترى مطربًا ينقر دفًّا او يجرُّ قوسًا على وتر او ينفخ في بوق حتّى ترى الناس يحدقون بهِ من كل جانب ويتزاحمون حولهُ ويشرئبُّ بعضهم فوق اكتاف بعضهم لرؤيتهِ وسمع نغمتهِ وهم صامتون يصغون كانما هم في معبد او امام منبر . ولا تدخل حديقة من الحدائق العمومية الاَّ تراهم بها الوفًا رجالاً ونساء واطفالاً ولا تسير في منتزهٍ الاَّ ترى مركباتهم تجري تباعًا آخذًا بعضها باذيال بعض كانها قطار واحد . وترى القهوات معظم النهار غاصَّة بالناس رجالاً ونساء وملاهيهم تزيد عن ٢٥ ملهى (تياترو) ولم ادخل ملهًى منها الاَّ رأيتهُ غاصًّا بالحضور

وقد قصدت ان احضر تمثيل رواية لوهنغرين لوغنر الالماني التي افضت الى ما افضت من الهياج والمجهرة وطنطنة الجرائد على غير معنًى ولا جدوى فلم يتيسَّر لي حضورها الاَّ باستئجار محل قبل التمثيل باسبوع وبدفع اعلى قيمة الاَّ قليلاً . فلما دخلت الغران اوبرا وقلبت طرفي لارى محاسن اعظم ملاهي العالم اتساعًا وقيمةً وجمالاً رأيت نجوًا من الفين ومئتي نسمة حولي مصطفين على مقاعد القاعة من ارضها الى ان تكاد رؤوسهم تمس سقفها وكلهم صامت شاخصٌ كانهم آذان وعيون حتّى لم تتنبي روية حركةٍ من حركات الممثلين الذين كانوا يمثلون ولا سمع نغمةٍ من نغمات عدد كعددهم من المطربين

حركة الاشغال في باريس

قد يتوهم القارئ مما مر ان باريس لا تمتاز الاَّ بما تقدَّم من الاوصاف والواقع ان فرنسا الجسم وفي روحها وفرنسا اسم و باريس مسمّاها وفيها كل قوى المدن والقرى كما ان

كل الصيد في جوف الفرا . والذي يطرق شوارع رجال الاشغال فيها يجدهم مجرون فيها كخيل الطراد ويتحقق قول القائل انما الحياة ميدان سباق وجهاد . وقد ذهبتُ لرؤية بورصة باريس يومًا بعد الظهر بساعتين وهي اشهر بورصاتها الثلث وقد بنيت على شكل هيكل من هياكل اليونان وهي فخيمة البنيان بديعة الصنعة حسنة الهندسة والنقش والتزويق فمررت في طريقي اليها بقارعة ثلث طرق تعرف بقارعة موفارتر وشاهدت هناك ما يقصر القلم عن وصفهِ من ازدحام السابلة ومركبات الركوب والبضائع واخبرني بعض الثقات انهُ يمرُّ بها ١٠٠ الف مركبة فاكثر كل يوم . ثم اقبلتُ على البورصة واذا الناس منتشرون امام بابها كغوغاء الجراد منهم حاسر الرأس ومنهم لابس القلنسوة الطويلة التي قلما يلبس اهل باريس غيرها في هذه الايام ثم دخلت قاعتها واسرعت فصعدت الى رواق في الطبقة الثانية منها وشاهدت هناك ما لم اكن لاصدقهُ لو لم ارهُ بعيني واسمعهُ باذني من تراحم ارباب الاموال وتصادمهم وتلاطمهم وصياحهم وتدافعهم كانهم جيش جائش او بحرٌ هائج وما كنت اسمع الاَّ اصواتًا تدوي في جوانب القاعة كهزيم الرعد ولا ارى الاَّ رجالاً يتدافعون ويرفعون الايدي ثم ينزلونها وهم يتطالون على اكتاف بعضهم بعضًا واستنتجت مما رأيت لا مما فهمت ان السماسرة ينادون بالاسعار والناس يجاوبون بالبيع او بالشراء . والعجب العجاب ان اهالي المسكونة ينتظرون اخبار هذا الضجيج والعجيج وخلاصة هذه الضوضاء والغوغاء حتَّى يبنوا عليها اشغالهم ويدبروا بموجبها متاجرهم ويستدلوا منها على احوال السلم والحرب في الاقطار واعجب من ذلك ان بورصة باريس تقضي في السنة اشغالاً بخمسين مليار فرنك او الفي مليون جنيه كأن ذلك الصراخ والصراع نبعٌ فوار من الذهب الفرّار

وبكّرتُ يومًا لارى حركة الناس في سوق الخضر واللحوم والاسماك المعروف عندهم بالهال ستترال فاذا هو عبارة عن عشرة اروقة كبيرة عالية من الحديد المسقوف بالزجاج قائمة على مساحة ثمانية عشر فدانًا من الارض وقد حوى كل منها ٢٥٠ دكانًا وفيها ما حوتهُ فرنسا والبلدان القاصية والدانية المتاجرة معها باللحوم والاجبان والفاكهة والاسماك والمتدّدات وتحتها ١٢٠٠ قبو علو كل منها ١٢ قدمًا لخزن تلك البضائع والناس مئات والوف حولها وداخلها وهم على ما يتصوّر القاريُ من الزحام والصدام وقد احصوا ما يباع في هذه السوق سنويًا فوجدوهُ ٦٥ مليون رطل مصري من السمك و٣٥ مليون تراقة و٦٦ مليون رطل من اللحم و٥٥ مليون رطل من الطير والصيد و٢٧ مليون رطل من الزبدة و٣٥٠ مليون بيضة و١٥ مليون رطل من الجبن . وفي باريس اسواق أخرى شبيهة بهذه السوق ولكنها دونها

اتساعاً الاّ ان سوق الخمر فيها اوسع الاسواق ورأيت براميل الخمرة فيها مرصوفة كالجبال وهي تعدّ بالالوف بل بمئات الالوف وقد اطّلعت على احصاء ما ينفقهُ اهل هذه المدينة سنويًّا فاذا هو ٧٦٤ مليون رطل من الخبز و ٩٠٠ مليون رطل من الخمر و٤٢٨ مليون رطل من اللحم و٥٤ مليون رطل من السمك وقيمتها مليار فرنك في السنة او ١٢٠ الف جنيه في اليوم هذا غير السمن والبقول والخضر والفاكهة وما شاكل . وانما ذكرت ما تقدّم اظهارًا لوفرة الاشغال في باريس وليقس الكثير الذي لم يذكر على اليسير مما ذكر

علوم باريس وفنونها

لديّ كلام مطول في هذا الشأن استوفيهِ في حينهِ وانما اقول الآن ان متاحف باريس ومعارضها وما تعرضهُ على الجمهور من مجاميع الآلات الزراعية والصناعية والكيماوية والطبيعية والفلكية والهندسية وامثلة المباني والسفن وآلات استخراج المعادن واتاتين صهرها وقوالب سبكها وادوات العمل بها وآلات النسج والحياكة والحيوانات الحية البريّة والداجنة والنباتات على انواعها الى غير ذلك مما يراهُ الانسان في جهات متعدّدة منها — كل ذلك يقوم مقام مدرسة لتعليم اهاليها وتثقيف عقولهم وتوسيع مداركهم بلا جهد ولا مشقة . فالعاميّ الذي يتردّد مدة على هذه المعارض والمتاحف يتعلم شيئًا كثيرًا من تواريخ الامم وعوائدها واخلاقها وازيائها لرؤيتهِ اياها ممثلة امامهُ رأي العين ويطلع على طبائع الحيوانات والنباتات لمشاهدتهِ اياها مجموعة امامهُ من شاسع الاقطار والبلدان . فقد رأيت في معرض اللوفر مركبة بديعة من المرمر الزيتي قلبها من الفضة وبزها من الكهرباء وهي صنع اهل مصر ولا اظن ان مصريًّا من قراء هذه الرسالة رأى او سمع بمثلها الاّ اذا كان في اللوفر او ممن شاهدها فيهِ قبلي ورأيت في معرض الحيوانات الصل والحية القرناء تزحف على رمل من رمال الصحراء ولا ادري مَن من قراء المقطّم رآها ومع ذلك فايسر شيء على اهل باريس رؤيتها وقس على ذلك الفيل وفرس البحر والكركدن والتماسيح على انواعها والقرود والايائل والوعول على انواعها والاسد واللبوة والنمور والفهود على انواعها من الدب الابيض الذي يقطن المنطقة المتجمدة الى دب الصين الصغير والزرافة والنعام وسائر ما في البلاد الحارة من الحيوان والنبات

واهل باريس يجلّون مقام رجال العلم والفضل ويقيمون لهم التماثيل والانصاب تخليدًا لذكرهم فكيف جلت في مدينتهم تجد تمثالاً لعالم او اديب او مخترع او مكتشف منهم او تجد الشوارع والساحات مسماة باسمائهم وقد رأيت قبر فولتير وقبر جان جاك روسو وقبر فكتور

هيوغو في البنثيون حيث لا يدفن الاَّ اعاظم الرجال . ورأيت قبر شمبولبون اول من قرأ الخط المصري القديم في المقبرة المسماة عندهم مقبرة الاب لاشيز وقد اقيمت عليهِ مسلة كمسلة فرعون وقبر مولير شاعرهم وقبور كثيرين من العلماء والشعراء والفلاسفة والادباء كلها محفوفة بمظاهر التكريم والتعظيم . ولهم مرصد بديع في آلاتهِ واتقانهِ وحكومتهم تنفق الاموال الطائلة عليهِ الاَّ ان حظ اهل العلم من فرنسا لا يقاس بحظ اهل السياسة منها كما هي حال سائر الامصار . فترى القصر الذي يجتمع فيهِ اعضاء مجلس الشيوخ من افخر قصور الملوك التي لم ارَ لها مثيلاً في فخامة البنيان ودقة الهندسة وكمال الاتقان وجمال الزخرفة وحسن الاثاث . ويقرب منهُ قصر مجلس النواب الذين قد ينسون ما هم فيهِ من عظمة الشان ويتشاتمون ويتضاربون كالولدان . على حين تجد الانستيتو بناءً قديمًا زري المنظر وقبة الاكاديمية السامية لا تذكر بجانب قاعة مجلس الشيوخ او النواب مع ان الاكاديمية مجمع رجال من اشهر رجال الارض واعظم علمائها الذين شادوا لفرنسا صروح المجد والفخر على توالي الاعقاب وابد الدهر . ومتى آنس خاصة الفرنسويين من انسان فهمًا وذكاءً وعرفوا حقيقة امرهِ وعلمهِ ارتفع قدرهُ في عيونهم واظهروا لهُ الاعتبار والاحترام قولاً وفعلاً غير ان نواديهم العلمية مقفلة دون العامة ولا تفتح الاَّ لاهل العلم

المسالة المصرية في باريس

لم التقِ باناس يهتمون في المسائل الشرقية او يعرفون شيئًا عن المسألة المصريَّة في كل البلدان التي مررت بها الاَّ افرادًا قلائل . حتَّى اتيت باريس فوجدت فريقًا من الناس يلم بهذه المسألة بعض الالمام ولكنهم غير كثيرين وهؤلاء كلهم من الخاصة وهم إمَّا رجال بحث واطلاع او تجار يعاملون بلدان المشرق في البيع والشراء او محررو جرائد او اناس من رجال الحكومة . واما جمهور العامة فالمسألة المصريَّة والمسالة الصينية سيَّان عندهم . وقد قابلت جماعة من الخاصة الذين يشتغلون بالسياسة والذين لا يشتغلون بها وحادثتهم ملبًّا في علاقة فرنسا بمصر فتبيَّن لي ان الذين لا يشتغلون بالسياسة قد يشملهم من مصر منذ زمان بل قد بلغ من امرهم انهم جاوزوا الحقيقة بمراحل فهم يعتقدون ان البلاد دخلت في قبضة الانكليز ولا مطمع بخروجها منها ويزعمون ان العوائد والاصطلاحات والمتاجر الانكليزية قد غلبت على اهالي البلاد

السياسة الباريسية

على ان رجال السياسة تملون الآن بخمرة السرور لعقدهم ميثاق الولاء مع روسيا وهم

يؤملون ان يعود ذلك عليهم بالعواقب الحميدة . وقد تأيد الرجاء في صدور رجال الجمهورية وكبرت فيهم الآمال لما رأوا احترام الدول لجمهوريتهم وانحلال عزائم الاحزاب المعارضة لهم وتقرُّب الاكليروس منهم وقد كمل سعدهم بانتحار بولنجه امس على قبر حبيبته مدام بوفمن ولم ارَ اثرًا يستحق الذكر لحزبه الاَّ رشفور محرر جريدة الانترنسيجان وهو يلقي الكلام على عواهنه ويكيل جزافًا بغير حساب ويثلب اعراض الناس ولا يخاف الملام ولا العتاب . على ان الناس يقبلون على الانترنسيجان هذا اقبالاً عظيمًا وقد تهافتوا على شرائه اليوم تهافت الجياع على القصاع وتخاطفوهُ تخاطف النسور للجيف فراجت سوقهُ اي رواج وكل ذلك لتجبيلهِ بولنجه وطعنهِ اشد الطعن على رجال الحكومة الذين اذلوهُ . ولا يسلم رئيس الجمهورية نفسهُ من طعن الجرائد كجريدة الاونورتي فانها لا تترك بابًا للتهكم والتخيير الاَّ ولجتهُ وفوَّقت سهامها منهُ اليهِ . واقبال الجماهير على جرائد الهذر والهذيان هنا اضعاف اقبالهم على جرائد الجد فسوق الديبا هنا كاسدة ولولا علاقة الثان بالحكومة لاشبه الديبا من زمان وانا واثق ان اصحاب الجرائد لا يعانون هنا اقل مشقة مما يعانيهِ اصحاب الجرائد عندنا ولا يبذلون بعض الجهد على البحث والتنقيب مما نبذلهُ على جرائدنا ومع ذلك فهم يطبعون من النسخ الخمسين والستين الفًا الى المئتين والخمسين الفًا في اليوم وسبل الوصول الى الاخبار ممهَّدة لهم والرسائل البرقية رخيصة عندهم والاتصال تام والاعلانات تأتيهم بالعشرات والمئات والاموال تهطل عليهم كالامطار ولذلك تجد عندهم المطابع العظيمة التي تبتلع الورق وتطبعهُ وتقصهُ وتلفهُ بالنسخ مطبوعة خمسًا فخمسًا دفعة فدفعة وتجد عندهم الاثاث الوثير الفاخر والمتاع النفيس والانوار الكهربائية والتحف والصور مما يدهش البصائر ويحير الابصار حتَّى كأن ادارتهم قصور الملوك والامراء . ونحن ينذر الناس من كثرة الجرائد عندنا مع ان المدينة التي لا يزيد سكانها عن المئة والخمسين الفًا في اوربا تطبع من الجرائد قدر ما يطبع في القطر المصري كلهِ فتأمل

ولارباب الجرائد مقام محفوظ في هذه المدينة وامتيازات ليست لسواهم فقد كانوا لدى اطلاعهم على الرقعة التي فيها اسمي ولقبي يفتحون لي ابواب المعارض والمتاحف والمباني العمومية التي يحظر دخولها على الجمهور ويسير الحجَّاب بين يديَّ ويرونني ما اريد رؤيتهُ ولا يكلفونني دفع الرسوم حيث يكلف الجمهور . وقد شاهدتُ النوادي والمجامع العلمية والادبية والمراصد الفلكيَّة وغيرها التي لا تفتح لارباب الجرائد السياسيَّة بمجرَّد اظهار الغاية العلميَّة وذكر المقتطف